

نحن والموسيقى

قال : في بيتنا ؟ إن هذا مستحيل فأن أبى لا يسمع لى بذلك . . ثم هناك الجيران . . أنهم لاشك سيستنكرون منى ذلك ويعيروننى به .

قلت : أما أبوك فلا أعرف وجه الصواب فى معارضته لك . . وأما الجيران فإني أعتقد بعكس ماترى . أننى متأكد بأنهم سيطربون كلما صاغت مسامعهم أنغام الموسيقى الشجية . . ومن منا يحمل سحر الموسيقى على الأبواب ؟ . . قال : إنك لم تفهم ما أقصد يا أختى . . إنهم قد يرتاحون لها حينما ينصتون وقد يحسون بلذة ، كل ذلك فى سرهم ولا يستطيعون أن ييؤحوا بأعجابهم أو يبدوا ارتياحهم لأنها عيب . .

قلت : ماذا تقول ؟ عيب ؟ الموسيقى عيب ! ! إنك يا صديقى تغمط حق الموسيقيين وتظلم أولئك العباقرة الذين قدموا للعالم ثروة روحية من الألحان الساوية لازالت تتردد على الأسماع فتسموا بالنفوس وتنقلها إلى عالم آخر كله سحر وكله جلال وكله جمال . . إني أخجل يا صديقى فى أن أعترف أمامك بجملك وعدم تقديرك للموسيقى . إن الغربيين ولست فى حاجة أن أقول لك أنهم أرقى منا حضارة وأكثر تقدما يعتبرون الموسيقى أمراً ضرورياً لا يستغنون عنه إلا إذا استغنوا عن حاجتهم من الطعام والشراب . . وإن كل بيت حتى بيوت الفقراء منهم — لا يخلو من تلك الآلة الشهيرة (البيانو) وأنهم يشقون أرواح أطفالهم بالموسيقى قبل أن يملأوا عقولهم بالعلوم لأن الموسيقى تصقل عقولهم وترهف أحساسهم وتمذب نفوسهم وتربى أذواقهم . . ثم إني لأدري ما بالنا نحن معشر الشرقيين نعجب بالغربيين وتبهرنا حضارتهم ولكننا لانحسن استقلال هذا الإعجاب ولا نجنى منه الفائدة المرجوة . . فلا نحاول أبداً فى أن نعرف من علومهم أو آدابهم أو موسيقاهم على الوجه الأكمل . بل أنه لم يدر بخلدنا قط أن نكتسب من أخلاقهم والاعتزاز بالقومية والسمو بالنفس عما يشينها أو يظهرها — أمامهم — بمظهر العبد الذليل . لقد شططت يا صديقى عن الموضوع فلا تؤاخذنى . ولكنى مع الأسف — لأستطيع أن أخفى عليك عجبى بل رثائى حينما أراك تسخر من الموسيقى وتدعى بأنها عيب .

(البقية على الصفحة السابقة — بذيل العمود الأول)

كنا — أنا وصديق لى — نتمشى فى الصفاة ، نخادع النفس بالترويح عنها ونوهما بإدخال السرور والبهجة عليها وكان الجو حاراً خانقاً بالرغم من أن الوقت أصيل ، وأنه لم يبق إلا ساعة أو بعض ساعة حتى تودع الشمس هذا العالم الفانى . . وكانت أصوات النعاج والحير والجمال (عفواً) تمزج فتكون أصواتاً غريبة نزعج السمع وتحدث فى النفس تأثيراً غامضاً مبهماً لا أستطيع أن أحدد مداه أو أسبر غوره بالضبط . . وكانت سيارات الشركة الضخمة تروح وتجيء فتثير من حولها سحباً كثيفة من الغبار تملأ الأنوف وتحول بينها وبين استنشاق النسيم بل الرتين . عفواً مرة أخرى فإ كنت أقصد بذلك وصف الطبيعة فى تلك الساعة . هذه الطبيعة التى بخلت علينا بجبالها وساعدناها نحن على ذلك وأتحنا لها الفرص . . ولم أقصد أيضاً أن أصف شعورى أو أعبر عما يجول فى خاطرى فلا أظن أننى سأوفق فى ذلك لو حاولت أن أصدق فيه ، وإنما هذه مقدمة لم أجد منها بداً ولعل السبب لا يخفى . وكنا أنا وصديقى وقد وصلنا قصر (نايف) وقد أخذت تلك الضوضاء التى تحول بيننا وبين حرية الحديث وسلامة التفكير تخفت وتضاءل رويداً رويداً وكان الحديث قد جرننا إلى موضوع (الموسيقى) فلاحظت من صاحبي حماساً ونشاطاً غير معمولين فيه إلى الخوض فى هذا الحديث أدركت منها أنه محب لهذا الفن الجميل . . قال : لكم أجد فى نفسى ميلاً للموسيقى وشغفاً بها . أننى أشعر بأن كل من يجيد العزف على آلة موسيقية يحس بنشوة وراحة لا يشعر بها إلا من من الله عليه هذه النعمة الجليلة . . قلت : هذا صحيح . . فإ الذى يمنعك إذن يا صديقى أن تتعلمها مادمت تجد فى نفسك إليها كل هذا الميل ؟

قال : هناك عوائق . .

قلت : عوائق ! ! وما عسى أن تكون تلك العوائق ؟

قال : التقاليد . .

قلت : وما دخل التقاليد يا صديقى فى الأمر كل ما هناك أن تشتري آلة موسيقية تفضل العزف عليها وتتلقى دروسك على يد فنان موسيقى . .

قال : هذا أمر أسهل ولكن المشكلة فى هذه الآلة أين أضعها ؟

قلت : فى بيتكم طبعاً مهمل هناك مكان آخر . .